



تجارة الصالحين

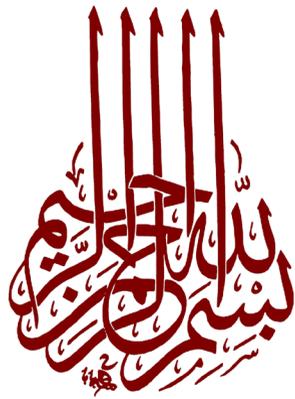
(الإحسان في الأعمال الصالحة وعند المكروهات)



جمع وإعداد / طلاب العلم



00201019530152





بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

مُقَدِّمَةٌ

الحمدُ لله رب العالمين الملك الحق المبين أشهد أن لا إله إلا هو ولي الصالحين وأشهد أن محمداً عبده ورسوله الأمين صلى الله عليه وعلى آله وصحبه أجمعين.

قال تعالى: ﴿قُلْ مَا سَأَلْتُكُمْ مِنْ أَجْرٍ فَهُوَ لَكُمْ إِنْ أَجْرِيَ إِلَّا عَلَى اللَّهِ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ﴾ [سبأ: ٤٧].

لا بُد للمسلم من أن يحمس نفسه لفعل الخيرات وهو ينتظر من الله الأجر والثوبات ولذلك فإن احتساب الأجر عبادة عظيمة تدفع للعمل، وهي تجارة يغفل عنها الكثيرون، فرب عمل صالح يسير يجلب لك من الأجر والثواب ما لم يخطر على بالك، ورب أعمالٍ صالحة كثيرة لكنها تجلب لك أجراً يسيراً، نعم أخي الكريم فإن احتساب النية لتجارة عظيمة اغتتمها الصالحون حتى أصبحت عاداتهم عبادات ونالوا بها أعلى المراتب، وخيرُ مثال هو نبينا محمد صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.



لذلك ها أنا ذا أضع بين أيديكم مقتطفات من أقوال الصالحين
لتكونوا تجاراً في النوايا وتذوقوا طعم الحياة..





﴿ وفي ذلك فليتنافس المتنافسون ﴾

ومن عظيم عدل الله تعالى أن لا يساوي بين المستحقين للجنة في الدرجة والنعيم؛ فالتفاضل بين الناس في الدنيا في الإيمان والطاعات يؤدي إلى التفاضل في المنازل والدرجات عنده **سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى**.

وأن الله قد وعد الطائعين بمنازل في الجنة إن هم قاموا بما حثهم عليه من تلك الطاعات، وما ذلك التفاضل بين أهل الجنة في المنازل والدرجات إلا بسبب تفاضلهم في أعمال الطاعات في الدنيا.

قال تعالى: ﴿ **أَنْظُرْ كَيْفَ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَى بَعْضٍ ۗ وَلِلْآخِرَةِ الْكِبْرُ دَرَجَاتٍ وَأَكْبَرُ تَفْضِيلًا** ﴾ [الإسراء: ٢١].

قال ابن تيمية **رَحِمَهُ اللهُ**: فبين الله **سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى** أن أهل الآخرة يتفاضلون فيها أكثر مما يتفاضل الناس في الدنيا وأن درجاتها أكبر من درجات الدنيا^(١).

(١) أولياء الرحمن وأولياء الشيطان «جزء ١ - ص ٣٩»



وقال تعالى: ﴿وَلِكُلِّ دَرَجَةٌ مِمَّا عَمِلُوا﴾ [الأَنْعَامُ: ١٣٢].

قال ابن تيمية رَحِمَهُ اللهُ: والجنة درجات، متفاوتة تفاضلاً عظيماً، وأولياء الله المؤمنون المتقون في تلك الدرجات: بحسب إيمانهم، وتقواهم (١).

عَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «إِنَّ أَهْلَ الْجَنَّةِ يَتَرَاءُونَ أَهْلَ الْغُرَفِ مِنْ فَوْقِهِمْ كَمَا يَتَرَاءُونَ الْكُوكَبَ الدُّرِّيَّ الْغَابِرَ فِي الْأُفُقِ مِنَ الْمَشْرِقِ أَوْ الْمَغْرِبِ لِتَفَاضُلِ مَا بَيْنَهُمْ قَالُوا يَا رَسُولَ اللَّهِ تِلْكَ مَنَازِلُ الْأَنْبِيَاءِ لَا يَبْلُغُهَا غَيْرُهُمْ قَالَ بَلَى وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ رِجَالٌ آمَنُوا بِاللَّهِ وَصَدَّقُوا الْمُرْسَلِينَ» (٢).

وفي رواية: «إِنَّ أَهْلَ الدَّرَجَاتِ الْعُلَى لَيَرَاهُمْ مَنْ تَحْتَهُمْ كَمَا تَرَوْنَ النَّجْمَ الطَّالِعَ فِي أُفُقِ السَّمَاءِ وَإِنَّ أَبَا بَكْرٍ وَعُمَرُ مِنْهُمْ وَأَنْعَمًا» (٣).

قال القرطبي رَحِمَهُ اللهُ: اعلم أن هذه الغرف مختلفة في العلو، والصفة، بحسب اختلاف أصحابها في الأعمال، فبعضها أعلى

(١) (مجموع فتاوى ١١/١٨٨)

(٢) رواه البخاري (٣٠٨٣) ومسلم (٢٨٣١)

(٣) رواه الترمذي (٣٦٥٨)، وحسنه، وابن ماجه (٩٦)، من حديث أبي سعيد، وصححه الألباني في «صحيح الترمذي».



من بعض، وأرفع.

وقوله «**الغائر من المشرق أو المغرب**» يروى بالياء اسم فاعل، من غار، وروي «**الغابر**» بالباء بواحدة، ومعناه الذهاب، أو الباقي، **ويعني به:** أن الكوكب حالة طلوعه، وغروبه بعيد عن الأبصار، فيظهر صغيراً لبعده، وقد بينه بقوله «**من المشرق أو المغرب**» وقد روي العازب بالعين المهملة والزاي، **أي:** البعيد، ومعانيها كلها متقاربة المعنى. (١)





﴿ التجارة مع الله ﴾

أخبر سبحانه على أن التجارة مع الله **جَلَّ وَعَلَا** حينما يريد بها المؤمن رضا الله، أنها تجارة رابحة، وأن عاقبتها إلى خير.

يقول الله تعالى: ﴿ **يَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَىٰ تِجَارَةٍ تُجِيزُكُمْ مِنْ عَذَابِ أَلِيمٍ ﴿١٠﴾ تُوْمِنُونَ بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَتُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ بِأَمْوَالِكُمْ وَأَنْفُسِكُمْ** ﴾ [الصف: ١٠، ١١].

قال ابن عثيمين **رَحِمَهُ اللَّهُ**: إنه يجب علينا أن نهتم بأنفسنا وأن نحاسبها، وإذا كان التجار لا ينامون حتى يراجعوا دفاتر تجارتهم، ماذا صرفوا وماذا أنفقوا وماذا كسبوا؟، فإن تجار الآخرة ينبغي أن يكونوا أشد اهتماما لأن تجارتهم أعظم، تجارة أهل الدنيا ماذا تفيدهم؟ غاية ما تفيدهم؟ إن أفادتهم هو إتراف البدن فقط، على أن هذه التجارة يلحقها من الهم والغم وإذا خسر في سلعة إهتم لذلك وإذا كان في بلده مخاوف قطاع طريق أو سراق صار أشد قلقاً.

لكن تجارة الآخرة على عكس من هذا ﴿ **يَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا هَلْ**



أَذَلُّكُمْ عَلَى تَحْرَقِ نُجُجِكُمْ مِنْ عَذَابِ أَلِيمٍ ﴿١٠﴾ تُوْمِنُونَ بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَتُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ
 اللَّهِ بِأَمْوَالِكُمْ وَأَنْفُسِكُمْ ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِنْ كُنْتُمْ نَاعِمُونَ ﴿١١﴾ يَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ
 وَيُدْخِلْكُمْ جَنَّاتٍ تَجْرَى مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ وَمَسَاكِنَ طَيِّبَةً فِي جَنَّاتٍ عَدْنٍ ذَٰلِكَ
 الْفَوْزُ الْعَظِيمُ ﴿١٢﴾ [الصف: ١٠-١٢]، تنجي من العذاب ويغفر له
 بها الذنوب ويدخل بها الجنات، جنات عدن يعني جنات إقامة،
 ﴿وَمَسَاكِنَ طَيِّبَةً فِي جَنَّاتٍ عَدْنٍ﴾ [الصف: ١٢].

مساكن طيبة في بنائها وفي مادة البناء، أتظنون أن مواد بناء
 الجنة من إسمنت وحصي؟ لا! كما قال النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ:
 «جنتان من ذهب أنيتهما وما فيهما، وجنتان من فضة أنيتهما وما
 فيهما».

والله يبقى الإنسان في سجدة منذ بلغ إلى أن يموت لكان هذا
 ثمناً قليلاً بالنسبة إلى هذه الغنيمة العظيمة، ولو لم يكن إلا أن
 ينجو الإنسان من النار لكفى.

أحياناً الإنسان يفكر يقول ليتني لم أولد أو يكفي أن ننجو
 من النار، وها هو عمر بن الخطاب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ يقول: «ليتني شجرة
 تعضد، ليت أمي لم تلدني».



الإنسان يخاف! يظن أنه آمن الآن لأنه يصلي ويصوم ويتصدق ويحج ويبر الوالدين. وما أشبه ذلك لكن قد يكون في قلبه - نسأل الله السلامة والعافية - حسيكة تؤدي إلى سوء الخاتمة - والعياذ بالله - (١).





﴿ النية ﴾

إن الإحتساب عمل قلبي، لا محل له في اللسان، لأن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أخبرنا بأن النية محلها القلب.

قال الشيخ ابن عثيمين رَحِمَهُ اللَّهُ: «النية» محلها القلب، ولا محل لها في اللسان في جميع الأعمال؛ ولهذا كان من نطق بالنية عند إرادة الصلاة، أو الصوم، أو الحج، أو الوضوء، أو غير ذلك من الأعمال كان مبتدعاً قائلًا في دين الله ما ليس منه؛ لأن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كان يتوضأ، ويصلي ويتصدق، ويصوم ويحج، ولم يكن ينطق بالنية، فلم يكن يقول: اللهم إني نويت أن أتوضأ، اللهم إني نويت أن أصلي، اللهم إني نويت أن أتصدق، اللهم إني نويت أن أصوم، اللهم إني نويت أن أحج، لم يكن يقول هذا؛ وذلك لأن النية محلها القلب، والله عَزَّ وَجَلَّ يعلم ما في القلب، ولا يخفي عليه شيء؛ كما قال الله تعالى: ﴿ قُلْ إِنْ تَخَفُوا مَا فِي صُدُورِكُمْ أَوْ بُيُوتِهِمْ يَعْلَمُهُ ﴾ [آل عمران: ٢٩].

ويجب على الإنسان أن يخلص النية لله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى فِي جميع عباداته، وأن لا ينوى بعباداته إلا وجه الله والدار الآخرة. وهذا



هو الذي أمر الله به في قوله: ﴿ وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ ﴾ [البينة: ٥]، أي مخلصين له العمل، ﴿ وَيُقِيمُوا الصَّلَاةَ وَيُؤْتُوا الزَّكَاةَ وَذَلِكَ دِينُ الْقِيَمَةِ ﴾ [البينة: ٥]، وينبغي أن يستحضر النية، أي: نية الإخلاص في جميع العبادات. فينوي مثلاً الوضوء، وأنه توضأ لله، وأنه توضأ إمتثالاً لأمر الله. فهذه ثلاثة أشياء:

١ - نية العبادة.

٢ - ونية أن تكون لله.

٣ - ونية أنه قام بها امتثالاً لأمر الله. فهذا أكمل شيء في النية^(١).

والعمل لا بد فيه من النية... فالذي يحتسب وينوي بعمله وجه الله فهو لله، والذي ينوي بعمله الدنيا فهو للدنيا فالأمر خطير جداً.. جداً.

وقال الشيخ ابن عثيمين رَحِمَهُ اللهُ: «والنيات تختلف اختلافاً عظيماً وتباين تبايناً بعيداً كما بين السماء والأرض، من الناس من نيته في القمة في أعلى شيء، ومن الناس من نيته في القمامة في أحس شيء وأدنى شيء. فإن نويت الله والدار الآخرة في أعمالك الشرعية



حصل لك ذلك، وإن نويت الدنيا فقد تحصل وقد لا تحصل.

قال تعالى: ﴿مَنْ كَانَ يُرِيدُ الْعَاجِلَةَ عَجَلْنَا لَهُ فِيهَا مَا نَشَاءُ لِمَنْ نُرِيدُ﴾

[الإسراء: ١٨].

ما قال عجلنا له ما يريد!! بل قال ما نشاء - أي لا ما يشاء هو - لمن نريد - لا لكل إنسان - فقيد المعجل والمعجل له.

إذا من الناس من يعطى ما يريد من الدنيا ومنه من يعطى شيئاً منه ومنهم من لا يعطى شيئاً أبداً. وهذا معنى قوله تعالى: ﴿عَجَلْنَا لَهُ فِيهَا مَا نَشَاءُ لِمَنْ نُرِيدُ﴾ [الإسراء: ١٨].

أما قوله تعالى: ﴿وَمَنْ أَرَادَ الْآخِرَةَ وَسَعَىٰ لَهَا سَعْيَهَا وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُولَٰئِكَ كَانَ سَعْيُهُمْ مَشْكُورًا﴾ [الإسراء: ١٩]. لا بد أن يجني هذا العمل الذي أراد به وجه الله والدار الآخرة^(١).

النية أمرها عظيم، وهي روح الأعمال، وبها صلاح الأعمال، كما قال النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «إِنَّمَا الْأَعْمَالُ بِالنِّيَّاتِ، وَإِنَّمَا لِكُلِّ امْرِئٍ مَا نَوَىٰ»^(٢).

(١) شرح رياض الصالحين ج ١ / ص ٣

(٢) «رواه البخاري (١) ومسلم (١٩٠٧)»



والنية تحوّل المباحات إلى طاعات وقربات، فلهذا ينبغي العناية والإهتمام بها، وجعلها لله تعالى، خالصة من شوائب الرياء والسمعة .

واعلم أن النية نوعان :

❖ النوع الأول: نية مفروضة، ولا تصح العبادة إلا بها :

كالنية في الوضوء والصلاة والزكاة والصوم والحج، وهذه النية لا يكاد يغفل عنها أحد، فإذا توضأ الإنسان ليصلي أو ليمس المصحف أو ليكون طاهراً، فقد أتى بالنية. فقصد الصلاة، أو قصد رفع الحدث، هذا هو النية في الوضوء .

وإذا قام المرء للصلاة، وهو يعلم أنها صلاة الظهر مثلاً، فقصد أن يصليها وأقبل عليها، فقد أتى بالنية، ولا يجب - بل ولا يشرع - أن يقول بلسانه نويت أن أصلي صلاة الظهر حاضرة ... إلخ، كما يفعله بعض الناس، فإن هذا لم يرد عن النبي **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ**، بل النية محلها القلب.

وهكذا إذا عزم الإنسان من الليل على أنه سيصوم غدا، فقد نوى الصوم، بل تناوله طعام السحور، يدل على قصده الصوم وإرادته له. فالنية بهذا المعنى يصعب أن ينساها الإنسان.



❖ النوع الثاني: نية مستحبة، لتحصيل الأجر والثواب:

وهذه التي يغفل عنها بعض الناس، وهي استحضار النية في المباحات، لتكون طاعاتٍ وقربات، كأن يأكل ويشرب وينام بنية التقوي على الطاعة، كما قال صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «إِنَّكَ لَنْ تُنْفِقَ نَفَقَةً تَبْتَغِي بِهَا وَجْهَ اللَّهِ إِلَّا أُجِرْتَ عَلَيْهَا حَتَّى مَا تَجْعَلَ فِي فَمِ امْرَأَتِكَ»^(١).

وقال معاذ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ: «أما أنا فأنام وأقوم فأحتسب نومتي كما أحتسب قومتي»^(٢).

فكان رَضِيَ اللهُ عَنْهُ يحتسب الأجر في النوم، كما يحتسبه في قيام الليل، لأنه أراد بالنوم التقوي على العبادة والطاعة.

قال الحافظ ابن حجر رَحِمَهُ اللهُ فِي الفتح: «ومعناه أنه يطلب الثواب في الراحة كما يطلبه في التعب؛ لأن الراحة إذا قصد بها الإعانة على العبادة حصلت الثواب» انتهى.

والذي يعين على استحضار هذه النية: التأني والتدبر وعدم العجلة، فيفكر الإنسان فيما يأتي ويذر، ويحاسب نفسه قبل العمل،

(١) رواه البخاري (٥٦)

(٢) رواه البخاري (٤٠٨٨)



فينظر هل هو حلال أو حرام، ثم ينظر في نيته: ماذا أراد بذلك؟ فكلما حاسب نفسه، وعودها النظر قبل العمل، كلما كان ذلك أدعى لتذكره أمر النية، حتى يصير ذلك ملكةً له، وعادة يعتادها، فلا يخرج ولا يدخل، ولا يأكل ولا يشرب، ولا يعطي ولا يمنع، إلا وله نية في ذلك، وبهذا تتحول عامة أوقاته إلى أوقات عبادة وقربة. نسأل الله تعالى أن يوفقنا وإياك لذلك.





﴿مجاهدة النفس﴾

لأن الأصل في النفس التي بين جنبي العبد أيها الأفاضل أنها أمارة بالسوء، مُحبة للكسل، محتاجة دائماً إلى معاهدة وتوجيه، لذا لا بد على صاحبها أن يجاهدها باستمرار ليروضها على طاعة العزيز الغفار، ويُجنبها معصية الكبير الجبار، وهذا هو الجهاد الذي لا غنى للعبد عنه في كل وقت وحين إذا أراد أن ينال الأجر ورضا أرحم الراحمين بإذن رب العالمين فعن فضالة بن عبيد **رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ** قال: قال **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ**: «**الْمُجَاهِدُ مَنْ جَاهَدَ نَفْسَهُ فِي طَاعَةِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ**»^(١).

قال ابن السعدي **رَحِمَهُ اللَّهُ**: «فإن النفس ميالة إلى الكسل عن الخيرات، أمارة بالسوء، سريعة التأثير عند المصائب، وتحتاج إلى صبر وجهاد في إلزامها طاعة الله، وثباتها عليها، ومجاهدتها عن معاصي الله، وردعها عنها، وجهادها على الصبر عند المصائب، وهذه هي الطاعات: امتثال المأمور، واجتناب المحذور، والصبر

(١) رواه الإمام أحمد في المسند (٢٢/٦)، وصححه الشيخ الألباني **رَحِمَهُ اللَّهُ** في السلسلة الصحيحة (٥٤٩).



على المقدور، فالمجاهد حقيقة: من جاهدتها على هذه الأمور لتقوم بواجبها ووظيفتها»^(١).

وقال الشيخ ابن عثيمين رَحِمَهُ اللهُ: « فأما مجاهدة الإنسان نفسه فإنها من أشق الأشياء، ولا تتم مجاهدة الغير إلا بمجاهدة النفس أولاً، ومجاهدة النفس تكون أن يجاهد الإنسان نفسه على شيئين، على فعل الطاعات وعلى ترك المعاصي. وذلك لأن فعل الطاعات ثقيل على النفس إلا من خففه الله عليه، وترك المعاصي كذلك ثقيل على النفس إلا من خففه الله عليه، فتحتاج النفس إلى مجاهدة لا سيما مع قلة الرغبة في الخير، فإن الإنسان يعاني من نفسه معاناةً شديدة ليحملها على فعل الخير»^(٢).



(١) بهجة قلوب الأبرار (ص ٢١)

(٢) شرح رياض الصالحين (٥١ / ٢)



﴿ معنى الإحسان ﴾

يجيبك ابن الأثير قائلاً: «الإحسان في الأعمال الصالحة وعند المكروهات البدار إلى طلب الأجر وتحصيله بالتسليم والصبر، أو باستعمال أنواع البر والقيام بها على الوجه المرسوم فيها طلباً للثواب المرجو منها»^(١).

قال الكفوي: **الإحسان**: هو طلب الأجر من الله تعالى بالصبر على البلاء مطمئنةً نفس المحتسب غير كارهةٍ لما نزل بها من البلاء^(٢).

﴿ ومن التعريفين السابقين، يكون الإحسان ثلاثة أنواع هي:

١) **إحسان الأجر من الله تعالى عند الصبر على المكاره، وخاصة فقد الأبناء إذا كانوا كباراً.**

٢) **إحسان الأجر من الله تعالى عند عمل الطاعات يُبتغى به وجهه الكريم كما في صوم رمضان إيماناً واحتساباً، وكذا في سائر الطاعات.**

(١) في النهاية لأبن الأثير (١/٣٨٢)

(٢) الكليات للكفوي (ص ٥٧)



٣) احتساب المولى عزَّجَلَّ ناصراً ومعيناً للعبد عند تعرضه لأنواع الابتلاء من نحو منع عطاء أو خوف وقوع ضرر، ومعنى الإحسان في هذا النوع الثالث الاكتفاء بالمولى عزَّجَلَّ ناصراً ومعيناً والرضا بما قسمه للعبد إن قليلاً وإن كثيراً. أم بها على الوجه المرسوم فيها طلباً للثواب المرجو منها».

الإحسان مهم جداً لأنه سوف يميز عبادتك عن عاداتك...

قال ابن السعدي رَحْمَةُ اللَّهِ: «ولا بد أيضاً أن يميز العادة عن العبادة، فمثلاً الإغتسال يقع نظافة أو تبرداً، ويقع عن الحدث الأكبر، وعن غسل الميت، وللجمعة ونحوها، فلا بد أن ينوي فيه رفع الحدث أو ذلك الغسل المستحب... فالعبرة في ذلك كله على النية»^(١).

أنت بحاجة ماسة كذلك إلى احتساب النية الصالحة لأن جميع الأعمال مربوطة بالنية قبولاً ورداً وثواباً وعقاباً، ويدل لذلك قول النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ «إنما الأعمال بالنيات وإنما لكل امرئ ما نوى»^(٢).

(١) ينظر شرح جوامع الأخبار، لابن سعدي رَحْمَةُ اللَّهِ.
(٢) الأعمال بالنيات رواه البخاري (١) ومسلم (١٩٠٧)



﴿ الإحسان ﴾

قال تعالى: ﴿ قُلْ إِنِّي هَدَيْتَنِي رَبِّيَ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ دِينًا قِيَمًا مِّلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ ﴾ (١٦١) قُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿١٦٢﴾ لَا شَرِيكَ لَهُ، وَبِذَلِكَ أُمِرْتُ وَأَنَا أَوَّلُ الْمُسْلِمِينَ ﴿١٦٣﴾ [الأنعام: ١٦١-١٦٣].

فمن استشعر هذه المعاني سعى في استحسان نية التقرب لله عزَّجَلَّ في جميع شؤون حياته، فإذا نام احتسب نومه لله عزَّجَلَّ كي يستعين براحة جسمه على العبادة حين يستيقظ، وإذا أكل أو شرب قصد بذلك التقوى للقيام بحقوق الله، وإذا تزوج أراد أعفاف نفسه والاشتغال بالحلال عن الحرام، وإذا طلب الذرية قصد الذرية الصالحة التي تعمر الأرض بمنهج الله. إذا تكلم فبالخير، وإذا سكت فإمساكا عن الشر، يرجو بنفقتة على نفسه وأهله الأجر والثواب أيضا.. وهكذا كون مقاصده في أعماله كلها.

قال ابن عثيمين رَحِمَهُ اللهُ: الكَمَلُ من الناس هم الذين تذكروا حتى صارت عاداتهم عبادات (١).

(١) «شرح صحيح البخاري (٨/٢٩٤)»



الإحسان يدر عليك الحسنات من حيث لا تشعر ويضاعف لك العمل وأنت تؤجر، قال عمر بن الخطاب **رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ**: «أيها الناس احتسبوا أعمالكم، فإن من احتسب عمله، كتب له أجر عمله وأجر حسبته»^(١).

قال ابن عثيمين **رَحِمَهُ اللَّهُ**: «للأسف يفوت علينا أشياء كثيرة بسبب الغفلة عن النية. وإلا فلو استحضرنّا النية، كانت كل حركاتنا وسكناتنا عبادة نثاب عليها»^(٢).

إنّ من أهم ما يُعين العبد المسلم أيها الأخوة والأخوات على اجتناب الذنوب والمحرمات، والمبادرة دوماً لفعل الطاعات من الواجبات والمستحبات، والمصارعة في كل الأوقات للتزود من الخيرات، هو احتساب ما يقوم به من عمل عند رب الأرض السماوات.

فاحتسب أعمالك اليومية كفعل الطاعات، والصبر على المكروهات، والحركات والسكنات، ليحسب ذلك من عملك الصالح..

(١) لسان العرب (١/ ٣١٥)

(٢) (شرح عقيدة أهل السنة والجماعة)



بالإحسان تحافظ على نشاط عبادتك فأن نفسك إذا شعرت بالثواب العاجل جدت واجتهدت في العمل فكيف إذا كان الثواب عند الله أعظم وأعظم شيء في العاجل وكثير هي الآجل إنك ترى الناس في أعمال الدنيا يتفانون في إتقانها ابتغاء الأجر والمكاسب وكلما كثر الراتب كثر العمل وأهل التجارات يصفون الدعايات وتجد على الشعارات بادر لاتدع الفرصة تفوتك . . لماذا؟. لأن النفس تسعى حين يبذل لها المقابل وإذا كان أهل الدنيا ينشطون بالمحفزات.

فكيف بأهل الآخرة الذين ينشطون إلى فعل الخيرات لأجل الباقيات الصالحات وجنة عرضها السماوات فيها ما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر إنها فعلاً المحفز العظيم ولذلك كان هذا شعار الصحابة رضوان الله عليهم في جهادهم ينطلقون لاستشهادهم،

وإن خبيبا: قال:

ولست أبالي حين أقتل مسلماً على أي شق كان لله مصرعي
وذلك في ذات الإله وإن يشأ يبارك على أوصال شلو ممزعي^(١)

(١) صحيح البخاري، كتاب التوحيد، باب ما يذكر في الذات والنعوت والأسماء



وكان الصحابة يحسبون في النوم فروى البخاري ومسلم عن ابن أبي بردة عن أبيه قال: «بعث النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أبا موسى ومعاذ على اليمن فقال: يسرا ولا تعسرا وبشرا ولا تنفرا وتطوعا».

وفي الحديث.. «فانطلقا ثم تذاكرا قيام الليل فقال معاذ لأبي موسى كيف تقرأ القرآن قال: قائماً وقاعداً وعلى راحتي وأتفوقه تفوقاً قال: أما أنا فأنام وأقوم فأحسب نومتي كما أحسب قومتي»^(١).

وهكذا كان الإحسان في النوم لأجل الإستعانة به على قيام الليل وعلى صلاة الفجر، والأول كان يتفوقه تفوقاً فيلازم قراءته أنا الليل وأنا النهار وحيناً بعد حين من فواق الناقه وهو أن تحلب ثم تترك ساعة حتى تدر ثم تحلب وهكذا فكانت راحتهم لأجل التعب وكان نومهم لأجل النصب وهكذا كانوا يحسبون العبادة بكل ما فيها من نوم وصلاة.

أحسب نومتي كما أحسب قومتي إنه الإحسان وهو شعار العابدين إنه الإحسان الذي يجعل النفس تنشط للعبادة إنه الإحسان الذي يعطي كل اليوم وكل الأعمال معنى العبودية قال



تعالى : ﴿ وَمَا عِنْدَ اللَّهِ خَيْرٌ وَأَبْقَى لِلَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ﴾ (٣٦) .

الإحسان ﴿ وَمَا نُفِّدُوا لِأَنفُسِكُمْ مِّنْ خَيْرٍ تَجِدُوهُ عِنْدَ اللَّهِ ﴾ .

الإحسان ﴿ جَزَاءُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ جَنَّاتٌ عَدْنٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا ﴾ .

الإحسان ﴿ يَسْتَبْشِرُونَ بِنِعْمَةٍ مِّنَ اللَّهِ وَفَضْلٍ وَأَنَّ اللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ الْمُؤْمِنِينَ ﴾ (١٣١) .

سئل الشيخ ابن عثيمين رَحِمَهُ اللهُ: هل يشترط للشواب على العمل أن يحتسب الأجر على الله ، أو يحصل له الأجر وان لم يحتسب؟

نقل أن الرسول صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: «من صام رمضان إيماناً واحتساباً - ولم يقل إيماناً فقط، بل قال إيماناً واحتساباً- غفر له ما تقدم من ذنبه». واحتساب الأجر له اثر عظيم على إحسان العمل، أليس كذلك؟ أما إذا شعرت بأنك أديت العمل برئت ذمتك فقط، وانك لن تعاقب على تركه ، فعملك ناقص .

لهذا أحث نفسي وإياكم على استحضار هذا المعنى؛ انك إذا عملت العمل تحتسب أجرة على الله، نقول مثلاً: قال النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «من أسبغ الوضوء وقال: اشهد أن لا اله إلا الله،



واشهد أن محمد عبده ورسوله فتحت له أبواب الجنة الثمانية يدخل من أيها شاء».

وزاد الترمذي: «اللهم اجعلني من التوابين واجعلني من المتطهرين» أريد من نفسي وإياكم أن نستحضر إننا إذا فعلنا ذلك فتحت لنا أبواب الجنة حتى نحصر على إسباغ الوضوء، ونحصر على قول كلمة التوحيد بعد الفراغ من الوضوء. فهذه مسألة ينبغي أن نتفطن لها، وهي: احتساب الأجر من الله على هذا العمل^(١).

قال ابن تيمية رَحْمَةُ اللَّهِ: ينبغي ألا يفعل من المباحات إلا ما يستعين به على الطاعة، ويقصد الاستعانة بها على الطاعة^(٢).

وهكذا سائر الأمور المباحة، لا يؤجر عليها صاحبها إلا إذا احتسبها لتحقيق مقصد من مقاصد الخير والفضل والأجر.

قال ابن الحجاج رَحْمَةُ اللَّهِ: المباح ينتقل بالنية إلى الندب.

قال ابن القيم رَحْمَةُ اللَّهِ: إن خواص المقربين هم الذين انقلبت

(١) لقاء الباب المفتوح (٦٨)

(٢) مجموع الفتاوى (٤٦١/٤٦٠/١٠)



المباحات في حقهم إلى طاعات وقربات بالنية، فليس في حقهم مباح متساوي الطرفين، بل اعمالهم راجحة^(١).

وقد صح عن الرسول **صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ** انه قال لسعد بن أبي وقاص **رَضِيَ اللهُ عَنْهُ**: «انك لن تنفق نفقه تبتغي بها وجه الله إلا أجرت عليها حتى ماتجعل في في امرأتك»^(٢).

قال الإمام النووي **رَحْمَةُ اللهِ**: معلقاً على الحديث: «وفيه إن المباح إذا قصد به وجه الله تعالى صار طاعة ويثاب عليه، وقد نبه **صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ** على هذا بقوله **صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ** حتى اللقمة تجعلها في في امرأتك»، لان زوجة الإنسان هي من اخص حظوظه الدنيوية وشهواته وملآذه المباحة، وإذا وضع اللقمة في فيها فإنما يكون ذلك في العادة عند ألملاعبة والملاطفة والتلذذ المباح ، فهذه الحالة ابعء الأشياء عن الطاعة وأمور الآخرة ، ومع هذا فاخبر النبي **صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ** انه إذا قصد بهذه اللقمة وجه الله تعالى حصل له الأجر بذلك، فغير هذه الحاجة أولى بحصول الأجر إذا أراد وجه الله تعالى.

(١) مدارج السالكين (١/١٠٧)

(٢) رواه البخاري (٥٦)



ويتضمن ذلك أن الإنسان إذا فعل شيئاً أصله على الإباحة وقصد به وجه الله تعالى يثاب عليه، وذلك كالأكل بنية التقوي على طاعة الله تعالى، والنوم للاستراحة ليقوم إلى العبادة نشيطاً، والاستمتاع بزوجه ليكف نفسه وبصرة ونحوهما عن الحرام، وليقضي حقها، وليحصل ولداً صالحاً، وهذا معنى قوله **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ**: «وفي بضع أحدكم صدقة» والله اعلم^(١).

قال البخاري **رَحِمَهُ اللَّهُ**: باب ما جاء إن الأعمال بالنية والحسبة، ولكل امرئ ما نوى، فدخل فيه الإيمان والوضوء والصلاة والزكاة والحج والصوم والأحكام، وقال تعالى: ﴿ **قُلْ كُلُّ يَعْمَلُ عَلَى شَاكِلَتِهِ** ﴾. على نيته، نفقة الرجل على أهله يحسبها صدقة، وقال النبي **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ**: «ولكن جهاد ونية»^(٢).

ولا ننسى كذلك أجر احتساب النية الصالحة الذي لا يضيعه الله أبداً، حتى وان لم تتمكن من أداء العمل الصالح الذي تنوي القيام به.

(١) شرح مسلم (١١ / ٧٧)

(٢) (صحيح البخاري (١ / ٢٩) كتاب الإيمان)



قال الشيخ ابن عثيمين رَحِمَهُ اللهُ: تعليقا على قوله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ
 «إذا مرض العبد أو سافر كتب له مثل ما كان يعمل مقيماً صحيحاً»،
 فالتممني للخير الحريص عليه إن كان من عاداته أنه كان يعمل
 ولكنه حبسه عنه حابس كتب له أجره كاملاً .

فمثلاً: إذا كان الإنسان من عاداته أن يصلي مع الجماعة في
 المسجد ولكنه حبسه حابس كنوم أو مرض أو ما أشبهه فإنه يكتب
 له أجر المصلي مع الجماعة تماماً من غير نقص. انتهى^(١)

فتذكير النفس باحتساب الأجر والثواب عند العزيز الوهاب
 أيها الأحباب لهو من أهم الأسباب التي تعين على الحرص على
 فعل الخيرات وكل ما هو صواب.

يقول الإمام ابن القيم رَحِمَهُ اللهُ: «فإن كل عمل لا بد له من مبدأ
 وغاية فلا يكون العمل طاعة وقربة حتى يكون مصدره عن الإيمان،
 فيكون الباعث عليه هو الإيمان المحض لا العادة ولا الهوى ولا
 طلب المحمدة والجاه وغير ذلك، بل لا بد أن يكون مبدؤه محض
 الإيمان وغايته ثواب الله وابتغاء مرضاته، وهو الإحتساب»^(٢).

(١) (شرح رياض الصالحين ص ٣٦)

(٢) في الرسالة التبوكية (ص ١٠)



والإحسان يميز العادة عن العبادة، فالعبرة في ذلك كله على النية، أنت بحاجة ماسه إلى احتساب النية الصالحة لان جميع الأعمال مربوطة بالنية، ويدل لذلك قول النبي **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «إِنَّمَا الْأَعْمَالُ بِالنِّيَّاتِ وَإِنَّمَا لِكُلِّ امْرِئٍ مِّنْهُم مَّا نَوَى»**، التقرب إلى الله تعالى بجمع اكبر قدر ممكن من الحسنات عن طريق محاولة احتساب أجور الأعمال، في حياتك اليومية، وقد يفتح الله عليك ويوفقك لاحتساب أمور أخرى، قال الله تعالى **﴿ذَلِكَ فَضْلُ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَاءُ وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ﴾** [الحديد: ٢١].

أكثر الناس يفعلون الواجبات طبعاً وعادة لا يبتغون به وجه الله تعالى، فمن فعلها ابتغاء وجه الله كان عليها من الأجر أعظم من أجر الْمُتَصَدِّقِ نافلة.

قال شيخ الإسلام **رَحِمَهُ اللَّهُ: فما جعله الله - سبحانه - في الإنسان من المحبة والبغضة لما يستعين به على المحبة المقصودة لنفسها، وهي عبادة الله وحده، مثل محبة الأكل والشرب والنكاح وُبُغْضِ الْمُؤْذِيَّاتِ إِنْ فَعَلَهُ بِنِيَّةِ الاسْتِعَانَةِ عَلَى مَا خَلِقَ لَهُ كَانَ دَاخِلًا فِي عِبَادَتِهِ، وَكَانَ لَهُ عَلَيْهِ الْأَجْر، كَمَا قَالَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لسعد بن أبي وقاص: «إِنَّكَ لَنْ تَنْفِقَ نَفَقَةً تَبْتَغِي بِهَا**



وجه الله إلا ازددت بها درجةً ورفعةً، حتى اللقمة تضعها في في امرأتك»، وقال: «نفقة المسلم على أهله يحسبها صدقة»؛ بل نفقة المرء على نفسه وعياله أفضل من نفقته على من لا تلزمه. نفقته، لأن ذلك واجبٌ، وما تقرب العبادُ إلى الله بمثل أداء ما افترض عليهم، ولهذا قال **صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ**: «كفى بالمرء إثماً أن يُضَيِّعَ مَنْ يَقُوتَ»، وقال: «خير الصدقة ما كان عن ظهر غنى» ... وكل هذه الأحاديث في الصحاح، وقال: «دينار تنفقه في سبيل الله، ودينار تعطيه لمسكين، ودينار أنفقته على أهلك؛ أعظمها أجراً الذي أنفقته على أهلك»، وهذا حديث ثابت أيضاً.

ولكن أكثر الناس يفعلون ذلك طبعاً وعادةً لا يتتبعون به وجه الله تعالى، كما يفعلون في قضاء الديون من أثمان المبيعات والقروض وغير ذلك من المعاوضات والحقوق؛ وهذه كلها واجبات، فمن فعلها ابتغاءً وجه الله كان عليها من الأجر أعظم من أجر المُتَصَدِّقِ نافلةً؛ لكن يتصدق أحدهم بالشيء اليسير على المسكين وابن السبيل ونحو ذلك لوجه الله - تعالى -، فيجدُ طعمَ الإيمان والعبادةِ لله، ويعطي في هذه الوفاً فلا يجد في ذلك طعمَ الإيمان والعبادة، لأنه لم ينفقه ابتغاءً وجهِ الله؛ فمن هذا الوجه صارَ في عُرْفِهِمْ أن هذه النفقات التي لا بُدَّ منها ليست



عبادة، وقد لا يستشعرون إيجاب الشارع لها، وإنما يستشعر أحدهم ما في تركه من المضرة العاجلة^(١).

وكما أن النية أمرها سهل، فالإحسان كذلك ليس من الأمور الصعبة، فأى عمل عمله العبد مریدا لإمثال أمر الله تعالى فهو يعتبر محتسبا، فقد جاء في الحديث: لا أجر لمن لا حسبة له. رواه البيهقي، وحسنه الألباني.

قال المناوي في شرح الحديث: أي لا أجر لمن لم يقصد بعمله إمثال أمره تعالى والتقرب به إليه. انتهى.

وإذا عمل الإنسان ما فيه إحسان إلى الخلق أو دعاء لهم فهو مأجور على كل، ولكن ابتغاء رضوان الله تعالى في ذلك العمل ينال به عظيم الأجر.

فقد جاء في جامع العلوم والحكم لابن رجب: وقوله:
﴿لَا خَيْرَ فِي كَثِيرٍ مِّن نَّجْوَاهُمْ إِلَّا مَنْ أَمَرَ بِصَدَقَةٍ أَوْ مَعْرُوفٍ أَوْ إِصْلَاحٍ بَيْنَ النَّاسِ وَمَن يَفْعَلْ ذَلِكَ ابْتِغَاءَ مَرْضَاتِ اللَّهِ فَسَوْفَ نُؤْتِيهِ أَجْرًا عَظِيمًا﴾ [النساء: ١١٤]، فنفي الخير عن كثير

(١) في جواب الاعتراضات المصرية (ص ٩٤)



مما يتناجى به الناس إلا في الأمر بالمعروف، وخص من أفراد الصدقة والإصلاح بين الناس، لعموم نفعها فدل ذلك على أن التناجى بذلك خير، وأما الثواب عليه من الله، فخصه بمن فعله ابتغاء مرضات الله، وإنما جعل الأمر بالمعروف من الصدقة والإصلاح بين الناس وغيرهما خيرا، وإن لم يتبع به وجه الله، لما يترتب على ذلك من النفع المتعدي، فيحصل به للناس إحسان وخير، وأما بالنسبة إلى الأمر، فإن قصد به وجه الله وابتغاء مرضاته، كان خيرا له وأثيب عليه، وإن لم يقصد ذلك لم يكن خيرا له، ولا ثواب له عليه، وهذا بخلاف من صام وصلى وذكر الله يقصد بذلك عرض الدنيا، فإنه لا خير له فيه بالكلية، لأنه لا نفع في ذلك لصاحبه، لما يترتب عليه من الإثم فيه، ولا لغيره لأنه لا يتعدى نفعه إلى أحد، اللهم إلا أن يحصل لأحد به اقتداء في ذلك. وروى ابن أبي الدنيا بإسناد منقطع، عن عمر قال: لا عمل لمن لا نية له، ولا أجر لمن لا حسبة له - يعني: لا أجر لمن لم يحتسب ثواب عمله عند الله **عَزَّوَجَلَّ** (١).

(١) (تفسير ابن رجب الحنبلي تفسير سورة النساء ص ٣٥٨)

الموفقون الكيسون يجعلون عاداتهم عبادة، والغافلون يجعلون عباداتهم عادة، والحقيقة أن الإنسان إذا عرف قدره وقدر حياته، استطاع بمعونة الله **عَزَّوَجَلَّ** أن يقلب عاداته عبادات.

قال الشيخ ابن عثيمين **رَحْمَةُ اللَّهِ**: قال تعالى: ﴿ **وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ** ﴾ (٥١). والله لو تأمل الإنسان هذه الآية لتعظ كثيراً، ما خلق إلا للعبادة، عبادة الله ليش وجودك في الدنيا؟ لتعمر الدنيا، لتبني القصور، لتركب السيارات الفخمة، لترفه جسديك، خلقت للعبادة، ومن خلق للعبادة ينبغي أن يجعل عمله كله عبادة؛ ولهذا كان الموفقون الكيسون يجعلون عاداتهم عبادة، والغافلون يجعلون عباداتهم عادة، تجد الموفق وأسأل الله أن يجعلنا ومن سمع منهم، تجده إن أكل يأكل امتثالاً لأمر الله؛ لأن الله أمر كلوا واشربوا ويقصد بالأكل حفظ بدنه، وهو مأمور بحفظ بدنه، إن أكل يريد الاستعانة به على طاعة الله، فلو أكل الآن الذي يتلذذ به أكلاً وشرباً، يكون طعامه الذي يتلذذ به أكلاً وشرباً يكون عبادة، إن لبس ينوي بذلك ستر عورته وسواته عن الناس، ثم يتذكر بهذا أنه كما يحب أن يستر عورته الحسية عن الناس، فليستر عورته المعنوية بالتوبة إلى الله؛ ولهذا لما قال الله **عَزَّوَجَلَّ**: ﴿ **يَبْنِيْءَ آدَمَ قَدْ أَنْزَلْنَا عَلَيْكَ لِيَأْسَا يُوْرِي سَوْءَ تِكْمَ** ﴾، وهذا اللباس الضروري:



﴿وَرِيثًا﴾، وهذا لباس الإيمان قال: ﴿وَلِبَاسُ التَّقْوَىٰ ذَٰلِكَ خَيْرٌ ذَٰلِكَ﴾، لباس التقوى ذلك خير، فإذا نوى واستحضر بقلبه عند اللباس، هذا المعنى صار اللباس عبادة، وهكذا العادات يستطيع المؤمن الموفق الكيس أن يجعل من عاداته عبادات، والغافل عاداته عادات، اعتاد إنه إذا أذن في المسجد يصلي، واعتاد أنه إذا جاء رمضان صام، واعتاد أنه إذا جاء وقت الزكاة تصدق، وهو في غفلة، ولهذا النية لها مدخل عظيم في العبادات، فمثلاً أكثر الناس إذا جاء وقت الصلاة، أو أراد أن يصلي نافلة، قام وتوضأ وصلى، لكن هل منا من يستحضر إذا كان يصلي يمثل أمر الله في قوله: ﴿يَتَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِذَا قُمْتُمْ إِلَى الصَّلَاةِ فَاغْسِلُوا وُجُوهَكُمْ وَأَيْدِيَكُمْ إِلَى الْمَرَافِقِ وَامْسَحُوا بِرُءُوسِكُمْ وَأَرْجُلَكُمْ إِلَى الْكَعْبَيْنِ﴾.

هل يستحضر أنه يطبق قول الله عزَّجَلَّ: ﴿فَاغْسِلُوا وُجُوهَكُمْ﴾، عند غسل وجهه. الذي يظهر لنا أن نستحضر هذا، ونخلص لله عزَّجَلَّ ونقول: أغسل وجهي امثالاً لأمر الله، أغسل يدي امثالاً لأمر الله، أمسح رأسي امثالاً لأمر الله، أغسل رجلي امثالاً لأمر الله، ثم يستحضر أيضاً معنًا آخر، أنني أفعل هذا اتباعاً لرسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم، وكأني أشاهد الرسول عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ يتوضأ على هذه الكيفية، حين إذن نحقق في هذا



الاستحضار الإخلاص لله، والمتابعة لرسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم.

والحقيقة أن الإنسان إذا عرف قدره وقدر حياته، استطاع بمعونة الله **عَزَّجَلَّ** أن يقلب عاداته عبادات، وأن يكمل عباداته باستحضار هذه النيات، ويكون حقق قول الله **عَزَّجَلَّ**: ﴿ **وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ** ﴾ (٥٦). أسأل الله تعالى أن يمن علي وعليكم وعلى من سمع، بهذه النية الطيبة انتهى (١).

عن أبي مسعود البدري **رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ** قال: قال النبي **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ**: «**إِن الْمُسْلِمَ إِذَا أَنْفَقَ عَلَى أَهْلِهِ نَفَقَةً يَحْتَسِبُهَا كَانَتْ لَهُ صَدَقَةً**» (٢). فنفقة الرجل على زوجته وأولاده واجب شرعي، ولا يثاب عليها إلا إن قصد الإحتساب .

قال القرطبي **رَحِمَهُ اللَّهُ**: أفاد منطوقه أن الأجر في الإنفاق إنما يحصل بقصد القربة سواء كانت واجبة أو مباحة، وأفاد مفهومه أن من لم يقصد القربة لم يؤجر، لكن تبرأ ذمته من النفقة الواجبة (٣).

(١) في فتاوى نور على الدرب الشريط رقم [٣٤٤]

(٢) رواه البخاري (٥٥) ومسلم (١٠٠٢)

(٣) «فتح الباري» (١/١٣٦)



وقال ابن حجر رَحِمَهُ اللهُ: ويستفاد منه أن الأجر لا يحصل بالعمل إلا مقرونا بالنية^(١).

وقال الطبري رَحِمَهُ اللهُ ما ملخصه: الإنفاق على الأهل واجب، والذي يعطيه يؤجر على ذلك بحسب قصده، ولا منافاة بين كونها واجبة وبين تسميتها صدقة، بل هي أفضل من صدقة التطوع^(٢).

وقال النووي رَحِمَهُ اللهُ: (يحتسبها) معناه: أراد بها وجه الله تعالى، فلا يدخل فيه من أنفقها ذاهلا (أي غفل عن النية، ولم ينو الإحسان)، ولكن يدخل المحتسب. وطريقه في الإحسان أن ينفق بنية أداء ما أمر به من النفقة والإحسان^(٣).

إن حرصك على احتساب الأجر في جميع أمورك سوف يجعلك في عبادة مستمرة لا تنقطع فتكون - بإذن الله - قد قمت بما خلقك الله له، قال الله تعالى: ﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾ [الذاريات: ٥٦].

(١) «فتح الباري»

(٢) «فتح الباري» (٤٩٨/٩)

(٣) شرح مسلم (٨٨/٧، ٨٩) بإختصار وتصرف.



وقال ابن قدامة رَحِمَهُ اللهُ في مختصر منهاج القاصدين: قال بعض السلف: «إني لأستحب أن يكون لي في كل شيء نية، وحتى في أكلي وشربي ونومي ودخولي الخلاء، وكل ذلك مما يمكن أن يقصد به التقرب إلى الله تعالى، لأن كل ما هو سبب لبقاء البدن وفراغ القلب من مهمات الدين، فمن قصد من الأكل التقوى على العبادة، ومن النكاح تحصين دينه، وتطيب قلب أهله، والتوصل إلى ولد يعبد الله بعده، أثيب على ذلك كله»^(١).

ويا أيها المنفق على أهله، اعلم كذلك - كتب الله أجرك - إذا أردت الثواب من المنان عليك أن تستحضر أن ما تقوم به هو عبادة للرحمن، فعن أبي مسعود البدي رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قال: قال رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «إِنَّ الْمُسْلِمَ إِذَا أَنْفَقَ عَلَى أَهْلِهِ نَفَقَةً وَهُوَ يَحْتَسِبُهَا كَانَتْ لَهُ صَدَقَةً»^(٢).

يقول ابن الجوزي رَحِمَهُ اللهُ: «معنى (يحتسبها): ينوي بها طاعة الله، ويرجو ثوابها منه، فبذلك تجري نفقته مجرى الصدقة»^(٣).

(١) مختصر منهاج القاصدين للمقدسي ٢٠٣.

(٢) رواه البخاري (٥٠٣٦) ومسلم (١٠٠٢) واللفظ له.

(٣) كشف المشكل (١٩٧/٢)



ولنستحضر حتى عند نومتنا وراحتنا نية التقوي بذلك على عبادة الله **جَلَّ وَعَلَا** كما كان يفعل أصحاب نبينا **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ**، فهذا معاد بن جبل **رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ** يقول: «أَحْتَسِبُ نَوْمِي كَمَا أَحْتَسِبُ قَوْمِي»^(١).

يقول الحافظ ابن رجب **رَحِمَهُ اللَّهُ**: «يعني أنه ينوي بنومه التقوى على القيام في آخر الليل، فيحتسب ثواب نومه كما يحتسب ثواب قيامه»^(٢).



(١) رواه البخاري (٤٠٨٦)

(٢) جامع العلوم والحكم (ص ٢٩٥)



الإحتساب عند المصائب

ويا من فقد في هذه الدنيا الفانية قريباً أو حبيباً له، اعلم كذلك - صبرك العليم القدير - أنك إذا أردت أن تنال الأجر الكبير والخير الكثير عند العليم الخبير فعليك بالصبر على ما نزل بك والإحتساب، وإياك أن تجزع من هذا المصاب! لأن هذا منافي لما حثك عليه العزيز الوهاب وهو مانع من تحصيل الأجر و الثواب، فعن أبي هريرة **رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ** أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ** قَالَ: **«يَقُولُ اللَّهُ تَعَالَى: مَا لِعِبْدِي الْمُؤْمِنِ عِنْدِي جَزَاءٌ إِذَا قَبِضْتُ صَفِيَّهُ مِنْ أَهْلِ الدُّنْيَا، ثُمَّ احْتَسَبَهُ إِلَّا الْجَنَّةُ»** (١).

قال العيني **رَحِمَهُ اللَّهُ**: «- أي - صبر على فقد صفة وابتغى الأجر من الله تعالى، والإحتساب طلب الأجر من الله تعالى خالصاً، واحتسب بكذا أجراً عند الله أي: نوى به وجه الله» (٢).

وقال الشيخ ابن عثيمين **رَحِمَهُ اللَّهُ**: في الإحتساب عند وقوع المصائب: إن المصائب إذا قابلها الإنسان بالصبر دون احتساب

(١) رواه البخاري (٦٠٦٠)

(٢) عمدة القاري (٣٨ / ٢٣)



الأجر صارت كفارة لذنوبه وإن صبر مع احتساب الأجر صارت بالإضافة إلى تكفير الذنوب أجراً وثواباً ومعنى الإحسان أن يعتقد في نفسه أن هذا الصبر سوف يثاب عليه فيحسن الظن بالله فيعطيه الله **عَزَّوَجَلَّ** ما ظنه به^(١).

وقال: وليعلم المصاب بأي مصيبة إن هذه المصائب كفارات لما حصل منه من الذنوب؛ فإنه لا يصيب المرء المؤمن هم ولا غم ولا أذى إلا كفر الله عنه به حتى الشوكة يشاكها، ومع الصبر والإحسان ينال منزلة الصابرين تلك المنزلة العالية التي قال الله تعالى في أهلها **﴿وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ بِشَيْءٍ مِّنَ الْخَوْفِ وَالْجُوعِ وَنَقْصٍ مِّنَ الْأَمْوَالِ وَالْأَنْفُسِ وَالثَّمَرَاتِ وَبَشِّرِ الصَّابِرِينَ﴾** [البقرة: ١٥٥]^(٢).

وقد روى الإمام ابن حبان رَحِمَهُ اللهُ: في كتاب الثقات وهو الإمام الكبير العلم أبو قلابة الجرهمي عبد الله بن يزيد وكان من الرواة عن أنس بن مالك **رَضِيَ اللهُ عَنْهُ**، ويروي هذه القصة عبد الله بن محمد. قال: خرجت مرابطاً في عريش مصر، فبينما أنا أمشي إذ مررت بخيمة وسمعت رجلاً يقول: **﴿رَبِّ أَوْزِعْنِي أَنْ أَشْكُرَ**

(١) (التعليق على صحيح مسلم / ص ٣٤٢)

(٢) في (مجموع فتاوى (١٧/٦١)

نِعْمَتِكَ الَّتِي أَنْعَمْتَ عَلَيَّ وَعَلَىٰ وَلَدِي وَأَنْ أَعْمَلَ صَالِحًا تَرْضَاهُ
وَأَدْخِلْنِي بِرَحْمَتِكَ فِي عِبَادِكَ الصَّالِحِينَ ﴿١٩﴾ [النمل: ١٩] قال:

فنظرت إلى هذا الرجل الذي يدعو فإذا هو معاق، وقد فقد يديه ورجليه، وفقد بصره، وثقل سمعه، فجئته وقلت له: يا عبد الله! إني سمعتك تقول كذا وكذا، فعلى أي شيء تحمد الله؟! فقال له: يا عبد الله! والله لو أرسل الله الجبال فدمرتني، والبحار فأغرقتني، ما وفيت نعمة ربي على هذا اللسان الذاكِر، ثم قال له: لقد فقدت ابني منذ ثلاثة أيام، فهل تلتسمه لي؟ وكان ابنه هذا يوضئه ويطعمه، فقلت له: والله ما سعى أحد في حاجة أحد أفضل من حاجتك. قال: فتركته وخرجت أبحث عن الغلام، فما مشيت قليلاً إلا وأبصرت عظمه بين كثران من الرمل، وإذا بسبع قد افترسه، قال: فوقفت وقلت: كيف أرجع إلى صاحبي وماذا أقول له؟! وجعلت أتذكر، قال: فتذكرت أيوب عَلَيْهِ السَّلَامُ فلما رجعت إليه سلمت عليه، فقال: أأنت بصاحبي؟ قلت: بلى. قال: فماذا فعل ولدي؟ قلت: هل تذكر أيوب عَلَيْهِ السَّلَامُ؟ قال: نعم. قلت: ماذا فعل الله به؟ قال: ابتلاه الله عَزَّوَجَلَّ في نفسه وفي ماله، قال: فكيف وجدته؟ قال: وجدته صابراً، قال: ولم يكن ذلك فقط، إنما انفض عنه القريب والبعيد، ورفضه القريب والبعيد،



قلت: وكيف وجدته؟ قال: وجدته صابراً، يا عبد الله! ماذا تريد؟ فقال له: احتسب ولدك، فإني وجدت سبعاً افترسه بين كئبان الرمل، قال: الحمد لله الذي لم يخلق مني ذرية إلى النار، وشهق شهقة فخرجت روحه فيها، قال عبد الله بن محمد: فقعدت حائراً ماذا أفعل، لو تركته لأكلته السباع، ولو ظللت بجانبه ما استطعت أن أفعل له شيئاً. قال: فبينما أنا كذلك إذا هجم علي جماعة من قطاع الطرق، فقالوا: ما حكايتك؟ فحكيت لهم الحكاية، قالوا: اكشف لنا عن وجهه، فكشفت عن وجهه فانكبوا عليه يقبلونه وهم يقولون: بأبي عيناً طالما غضت عن محارم الله، وبأبي جسماً كان على البلاء صابراً، قال: فغسلناه وكفناه ودفناه، ثم رجعت إلى رباطي. قال: فنمت فرأيت في منامي صحيحاً معافى، فقلت له: أأنت بصاحبي؟ قال: بلى. قلت: فما فعل الله بك؟ قال: أدخلني الجنة وقال لي: ﴿سَلِّمْ عَلَيْكُمْ بِمَا صَبَرْتُمْ فَنِعْمَ عُقْبَى الدَّارِ﴾ [الرعد: ٢٤]، ﴿الَّذِينَ آمَنُوا وَتَطْمَئِنُّ قُلُوبُهُمْ بِذِكْرِ اللَّهِ أَلَّا بِذِكْرِ اللَّهِ تَطْمَئِنُّ الْقُلُوبُ﴾ [الرعد: ٢٨] (١).





وقت الإحسان

على أن بعض أهل العلم يرى أن الإنسان إذا نوى الإحسان في أول يومه تكفيه تلك النية سائر اليوم عن كل الأعمال غير المتمحضة للعبادة، ولو لم يستحضر النية عند أدائها.

قال الشيخ ابن عثيمين **رَحِمَهُ اللهُ**: «لا شك أن تذكر النية عند العمل، ومصاحبته للعمل أفضل بلا شك بكثير، والإنسان إذا عود نفسه على هذا سهل عليه، ولكن إذا لم تكن هذه الحال العليا، فعلى الأقل الحال الدنيا، يعني الإنسان كلما أصبح ينوي نية صالحة بأنه لن يعمل عملاً إلا لوجه الله **عَزَّوَجَلَّ**، سواء كان دينياً، أو دنيوياً، وأرجو أن يكون ذلك كافياً، وتكون النية هنا مستصعبة حكماً، لا ذكراً، لكن استصحابها لها ذكر أفضل».

انتهى^(١).





﴿ كيف يمكن أن ينوي المسلم حياته وأعماله كلها لله ﴾

هذا هو باختصار بيان كيف يمكن أن ينوي المسلم حياته وأعماله كلها لله، ويمكن أن نُجَمِّلَ ذلك بأمرين اثنين:

(١) أن يلتزم في أعماله الشريعة، فلا يترك واجباً، ولا يقع في محذور.

(٢) أن يلحظ في قلبه كيف يمكن أن يوصله هذا العمل - ولو كان في أصله دنيوياً - إلى الأجر والثواب والقربة من الله تعالى.

وهكذا سائر الأمور المباحة، لا يؤجر عليها صاحبها إلا إذا احتسبها لتحقيق مقصد من مقاصد الخير والفضل والأجر.



﴿ كمال النية ﴾

وقال الشيخ ابن عثيمين رَحِمَهُ اللهُ: عن كمال استحضر النية في جميع العبادات :

وينبغي أن يستحضر المسلم النية في جميع العبادات، فينوي مثلا الوضوء وانه توضى لله، وانه توضى امتثالا لأمر الله. فهذه ثلاثة أشياء:

١ (نية العبادة.

٢ (ونية أن تكون لله.

٣ (ونية انه قام بها امتثالا لأمر الله .

هذا أكمل شي في النية ، (كذلك في الصلاة وفي كل العبادات).

﴿ النية تكون كاملة بثلاثة أشياء :

* نية العبادة، مثال: تنوي الصلاة وأنها الظهر أو العصر أو ما أشبه ذلك .



* نية أن تكون لله، بمعنى أنك إنما تصلي لله عزَّجَلَّ لا لغيره، لا تصلي رياءً ولا سمعة ولا لتمدح على صلاتك .

* نية أن تقوم بها امتثالاً لأمر الله، بمعنى تستحضر أنك تصلي امتثالاً لأمر ربك حيث قال ﴿ أَقِمِ الصَّلَاةَ ﴾، ﴿ فَإِذَا أَطْمَأْنَنْتُمْ فَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ ﴾ (١).

الحث على استشعار العبادة، قال الشيخ ابن عثيمين رَحِمَهُ اللهُ: أودَّ أن أذكر نفسي وإياكم بمسألة مهمة وهي: كلنا يتوضأ إذا أراد الصلاة، لكن أكثر الأحيان يريد الإنسان أن يقوم بشرط العبادة فقط، وهذا لا بأس، ويحصل به المقصود، لكن هناك شيء أعلى وأتم:

أولاً: إذا أردت أن تتوضأ استشعر أنك ممثّل لأمر الله في قوله: ﴿ يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِذَا قُمْتُمْ إِلَى الصَّلَاةِ فَاغْسِلُوا وُجُوهَكُمْ وَأَيْدِيَكُمْ إِلَى الْمَرَافِقِ وَامْسَحُوا بِرُءُوسِكُمْ وَأَرْجُلَكُمْ إِلَى الْكَعْبَيْنِ ﴾ [المائدة: الآية ٦]، حتى يتحقق لك معنى العبادة .

ثانياً: إذا توضأت استشعر أنك متبع رسول الله، فإنه قال: «مَنْ تَوَضَّأَ نَحْوَ وَضُوءِي هَذَا ثُمَّ صَلَّى رَكْعَتَيْنِ» أخرج البخاري ومسلم

حينئذ يكون الإخلاص والمتابعة .

ثالثاً: احتسب الأجر على الله عَزَّوَجَلَّ بهذا الوضوء، لأن هذا الوضوء يكفر الخطايا، فتخرج خطايا اليد مع آخر قطرة من قطرات الماء بعد غسل اليد، وهكذا البقية .

هذه المعاني الثلاثة العظيمة الجليلة أكثر الأحيان نغفل عنها، كذلك إذا أردت أن تصلي وقمت للصلاة استشعر أمر الله بقوله: ﴿وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ﴾ ثم استشعر أنك تابع لرسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حيث قال: «صَلُّوا كَمَا رَأَيْتُمُونِي أُصَلِّي» أخرجه البخاري ثم احتسب الأجر، لأن هذه الصلاة كفارة لما بينها وبين الصلاة الأخرى وهلم جراً.

يفوتنا هذا كثيراً ولذلك تجدنا - نسأل الله أن يعاملنا بعفوه - لانصطبغ بآثار العبادة كما ينبغي وإلا فنحن نشهد بالله أن الصلاة تنهى عن الفحشاء والمنكر، ولكن مَنْ مِنَ النَّاسِ إِذَا صَلَّى تَغْيِيرَ فِكْرِهِ وَنَهْتِهِ صَلَاتِهِ عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمَنْكَرِ؟! اللَّهُمَّ إِلا قَلِيلًا، لأن المعاني المقصودة مفقودة^(١).

(١) (شرح الأربعين النووية / ص ٢٥٢-٢٥٤)



الإخلاص في العمل

يجب إخلاص العمل في العبادة، قال الشيخ ابن عثيمين **رَحْمَةُ اللَّهِ**:
 في فتاوى نور على الدرب: أن العبادة لا يراد بها إلا وجه الله والدار
 الآخرة لا يراد بها الدنيا، يعني لا يصلي الإنسان لأجل أن ينجح،
 ويقال: ما أقومه للصلاة، ما أكثر صلاته وما أشبه ذلك، بحيث
 يجعل عمله خالصاً لله **عَزَّوَجَلَّ**، يريد به الثواب من عنده، بعض
 الناس ربما يجتهد في العبادة؛ ليقال: إن فلاناً كثير الصلاة، إن
 فلاناً كثير العمرة، إن فلاناً كثير الحج، إن فلاناً كثير الصدقات،
 وهذا يخل الإخلاص؛ قال الله **عَزَّوَجَلَّ**: ﴿وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا اللَّهَ
مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ حُنَفَاءً﴾ [البينة: ٥].

ينبغي للإنسان أن يحسن النية في العبادات، فيطلبه ابتغاء مرضاة
 الله تعالى.

قال الشيخ ابن عثيمين **رَحْمَةُ اللَّهِ**: أود أن أنبه على أن بعض
 الناس عندما يتكلمون على فوائد العبادات يحولونها إلى فوائد
 دنيوية؛ فمثلاً يقولون في الصلاة رياضة وإفادة للأعصاب، وفي
 الصيام فائدة لإزالة الفضلات وترتيب الوجبات، والمفروض



ألا تجعل الفوائد الدنيوية هي الأصل؛ لأن ذلك يؤدي إلى إضعاف الإخلاص والغفلة عن إرادة الآخرة، ولذلك بين الله تعالى في كتابه حكمة الصوم - مثلا أنه سبب للتقوى، فالفوائد الدينية هي الأصل، والدنيوية ثانوية، وعندما نتكلم عند عامة الناس فإننا نخاطبهم بالنواحي الدينية، وعندما نتكلم عند ممن لا يقتنع إلا بشيء مادي فإننا نخاطبه بالنواحي الدينية والدنيوية ولكل مقام مقال. «انتهى من كتاب العلم».

وقال ابن كثير رَحْمَةُ اللَّهِ: من عمل صالحا التماس الدنيا، صوما أو صلاة أو تهجد بالليل، لا يعمله إلا التماس الدنيا، يقول الله: أوفيه الذي التمس من الدنيا من المثابة، وحبط عمله الذي كان يعمل التماس الدنيا، وهو في الآخرة من الخاسرين^(١).

يقول الشيخ السعدي رَحْمَةُ اللَّهِ: «ينبغي للعبد أن يقصد وجه الله تعالى، ويخلص العمل لله في كل وقت، وفي كل جزء من أجزاء الخير، ليحصل له بذلك الأجر العظيم وليتعود الإخلاص، فيكون من المخلصين، وليتم له الأجر سواء تم مقصوده أم لا، لأن النية حصلت واقترن بها ما يمكن من العمل»^(٢).

(١) في تفسير ابن كثير (٣١٠-٣١١/٤)

(٢) تفسير السعدي (ص ٢٠٢)



تعدد النية

النية تبارك الأعمال أيها الإخوة: إن النية والإحسان هي التي يبارك الله **تَبَارَكَ وَتَعَالَى** بها العمل ويزكيه وينميها؛ فيجعل بها القليل كثيراً، واليسير خطيراً، وما دخل أهل الجنة الجنة بكبير عمل عملوه، ولا بعظيم جهد بذلوه، أكثر من كونهم محتسبين مخلصين، فيما يأخذون وفيما يدعون، وكأن أحدهم يقول: إنما أريد ما أريد، أن أعمل ما أعمل احتساباً لوجه الله، وأترك ما أترك احتساباً لوجه الله.

إذاً: فصلاح النية، وحسن القصد، وظهور الإحسان عند العبد، هو من أعظم أسباب القرب، وأكبر الأشياء التي يتضرع بها العبد إلى دخول الجنة.

وهذا الإحسان المطلوب ليس خاصاً في الصيام، بل هو عام في كل عمل، حتى الأعمال الدنيوية العادية البحتة إذا دخلها الإحسان كان هذا سراً أو (إكسيراً) - كما يقولون - يضاف إليها فيحولها إلى قُرْبَات وطاعات وأعمال صالحة.



يتعدد الأجر بتعدد النية في العمل الواحد، فإذا دخل المسلم المسجد متوضئاً، فصلى ركعتين ينوي بهما سنة الفجر، وسنة الوضوء، وسنة تحية المسجد، حصل له أجر ما نوى، والله ذو الفضل العظيم .

وقال الشيخ ابن باز رَحِمَهُ اللهُ: «إذا توضأ الإنسان صلى ركعتين ينويهما سنة الوضوء، وإذا دخل المسجد بعد الوضوء صلى ركعتين ينويهما سنة التحية وسنة الوضوء، يحصل له الأجر، أجر سنة الوضوء وأجر تحية المسجد والحمد لله، فضل الله واسع، وإذا صلاها بنية راتبة الظهر، توضأ ودخل المسجد ونوى سنة الظهر وسنة الوضوء وتحية المسجد حصل له ذلك، والحمد لله» انتهى^(١).

وقال الغزالي رَحِمَهُ اللهُ: «الطَّاعَاتُ .. مُرْتَبَطَةٌ بِالنِّيَّاتِ فِي أَصْلِ صِحَّتِهَا، وَفِي تَضَاعُفِ فَضْلِهَا.

أَمَّا الْأَصْلُ فَهُوَ أَنْ يَنْوِيَ بِهَا عِبَادَةَ اللَّهِ تَعَالَى لَا غَيْرَ، فَإِنْ نَوَى الرِّيَاءَ صَارَتْ مَعْصِيَةً .



وَأَمَّا تَضَاعُفُ الْفَضْلِ فَبِكثْرَةِ النِّيَّاتِ الْحَسَنَةِ، فَإِنَّ الطَّاعَةَ
الْوَّاحِدَةَ يُمَكِّنُ أَنْ يَنْوِيَ بِهَا خَيْرَاتٍ كَثِيرَةً، فَيَكُونُ لَهُ بِكُلِّ نِيَّةٍ
ثَوَابٌ إِذْ كُلُّ وَاحِدَةٍ مِنْهَا حَسَنَةٌ ثُمَّ تَضَاعَفَ كُلُّ حَسَنَةٍ عَشْرَ أَمْثَالِهَا
كَمَا وَرَدَ بِهِ الْخَبَرُ.

وَمِثَالُهُ: الْقُعُودُ فِي الْمَسْجِدِ، فَإِنَّهُ طَاعَةٌ وَيُمْكِنُ أَنْ يَنْوِيَ
فِيهِ نِيَّاتٍ كَثِيرَةً حَتَّى يَصِيرَ مِنْ فَضَائِلِ أَعْمَالِ الْمُتَّقِينَ، وَيَبْلُغُ بِهِ
دَرَجَاتِ الْمُقْرَبِينَ.

أَوَّلُهَا: أَنْ يَعْتَقِدَ أَنَّهُ بَيْتُ اللَّهِ، وَأَنَّ دَاخِلَهُ زَائِرُ اللَّهِ فَيَقْصِدُ بِهِ
زِيَارَةَ مَوْلَاهُ رَجَاءً لِمَا وَعَدَهُ بِهِ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حَيْثُ قَالَ:
«مَنْ قَعَدَ فِي الْمَسْجِدِ فَقَدْ زَارَ اللَّهَ تَعَالَى وَحَقَّ عَلَى الْمَزُورِ أَنْ يَكْرَمَ
زَائِرُهُ».

وثانيها: أَنْ يَنْتَظِرَ الصَّلَاةَ بَعْدَ الصَّلَاةِ .

وثالثها: التَّرَهُبُ بِكَفِّ السَّمْعِ وَالْبَصَرِ وَالْأَعْضَاءِ عَنِ الْحَرَكَاتِ
وَالْتَرَدُّدَاتِ، فَإِنَّ الْإِعْتِكَافَ كَفٌّ، وَهُوَ فِي مَعْنَى الصُّومِ وَهُوَ نَوْعٌ
تَرَهُبٌ.

ورابعها: عُكُوفُ الْهَمِّ عَلَى اللَّهِ، وَلِزُومُ السَّرِّ لِلْفِكْرِ فِي الْآخِرَةِ،

وَدَفَعُ الشَّوَاغِلِ الصَّارِفَةَ عَنْهُ بِالْإِعْتِزَالِ إِلَى الْمَسْجِدِ .

وخامسها: التَّجَرُّدُ لِذِكْرِ اللَّهِ أَوْ لِاسْتِمَاعِ ذِكْرِهِ وَلِلتَّذَكُّرِ بِهِ .

وسادسها: أَنْ يَقْصِدَ إِفَادَةَ الْعِلْمِ بِأَمْرٍ بِمَعْرُوفٍ وَنَهْيٍ عَنْ مُنْكَرٍ،
إِذَا الْمَسْجِدُ لَا يَخْلُو عَمَّنْ يَسَى فِي صَلَاتِهِ أَوْ يَتَعَاطَى مَا لَا يَحِلُّ لَهُ .

وسابعها: أَنْ يَسْتَفِيدَ أَخًا فِي اللَّهِ .

وثامنها: أَنْ يَتْرِكَ الذُّنُوبَ حَيَاءً مِنَ اللَّهِ تَعَالَى، وَحَيَاءً مِنْ أَنْ
يَتَعَاطَى فِي بَيْتِ اللَّهِ مَا يَقْتَضِي هَتَاكَ الْحَرَمَةِ .

فَهَذَا طَرِيقُ تَكْثِيرِ النِّيَّاتِ، وَقِسْ بِهِ سَائِرَ الطَّاعَاتِ وَالْمَبَاحَاتِ،
(إِذَا مَا مِنْ طَاعَةٍ إِلَّا وَتَحْتَمِلُ نِيَّاتٍ كَثِيرَةً)، وَإِنَّمَا تَحْضُرُ فِي قَلْبِ
الْعَبْدِ الْمُؤْمِنِ بِقَدْرِ جَدِّهِ فِي طَلَبِ الْخَيْرِ، وَتَشْمُرُهُ لَهُ، وَتَفَكِّرُهُ فِيهِ،
فِيهِذَا تَزَكُوا الْأَعْمَالَ وَتَتَضَاعَفُ الْحَسَنَاتُ» انتهى^(١).



(١) في «إحياء علوم الدين» (٤/ ٣٧٠-٣٧١)



﴿ تحقيق الغاية التي خلقنا من أجلها ﴾

وقد بين لنا ربنا أن الغاية العظمى والهدف الأسمى من خلق الجن والإنس هو أن يعبدوه وحده لا شريك له فقال جل شأنه:
 ﴿ وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ﴾ [الذاريات: ٥٦].

فكيف نحقق هذه الغاية ونصل إلى هذا الهدف؟ كثير من الناس يظن أن العبادة لا تعدو أن تكون مجموعة من الشعائر التعبدية التي أمر الله أن تؤدي في أوقاتها المعلومة - كالصلاة والصيام والحج، وبهذا ينتهي كل شيء - .

وليس الأمر كما يظن هؤلاء.

فكم تستغرق الشعائر التعبدية من اليوم واللييلة؟

بل كم تستغرق من عمر الإنسان نفسه؟!

فأين بقية العمر إذن؟

وأين بقية الطاقة؟

وأين بقية الوقت؟

أين تنفق وأين تذهب؟

أتنفق في العبادة أم في غيرها؟

وإن كانت ستفق في غير العبادة فكيف تتحقق غاية الوجود
الإنساني التي حصرتها الآية حصراً كاملاً في عبادة الله؟ وكيف
يتحقق قوله تعالى: ﴿قُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ
الْعَالَمِينَ﴾ [الأنعام: ١٦٢].

إن العبودية قضية كلية تهيمن على حياة المسلم فهو حين يسعى
في الأرض لطلب الرزق يعبد الله لأن ربه يأمره بذلك في قوله تعالى:
﴿فَامْشُوا فِي مَنَاكِبِهَا وَكُلُوا مِن رِّزْقِهِ وَإِلَيْهِ النُّشُورُ﴾ [الملك: ١٥]، وهو
حين ينام فهو ينام ليتقوى على عبادة الله تعالى كما قال معاذ بن
جبل رَضِيَ اللهُ عَنْهُ: «إني لأحتسب نومتي كما أحتسب قومتي»^(١).

أي أنه يحتسب الأجر في نومه كما يحتسب الأجر في قيامه
للليل، بل إن المسلم لا يرضى إلا أن يكون تمتعه بالطعام والشراب
والنكاح في ميزان حسناته كما قال الرسول صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «وفي
بضع أحدكم صدقة. قالوا: يا رسول الله أيأتي أحدنا شهوته ويكون
له فيها أجر؟ قال: أرأيتم لو وضعها في الحرام أكان عليه وزر؟ قالوا:
نعم. قال: فكذلك إذا وضعها في الحلال كان له أجر»^(٢).

(١) أخرجه البخاري ٤٣٤٢

(٢) أخرجه مسلم ١٠٠٦



لماذا من المهم أن نحاسب الأجر في كل شيء؟ إن حرصك على احتساب الأجر في جميع أمورك سوف يجعلك في عبادة مستمرة لا تنقطع فتكون - بإذن الله - قد قمت بما خلقك الله له، قال الله تعالى: ﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾ [الذاريات: ٥٦].

ذكر **سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى** صفات المؤمنين الحميدة، فقال مُمتدحاً لهم: ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَشْرِي نَفْسَهُ ابْتِغَاءَ مَرْضَاتِ اللَّهِ﴾ [البقرة: ٢٠٧]، وتأمل هذا التعبير القرآني: ﴿يَشْرِي نَفْسَهُ﴾؛ بمعنى - كما قال المفسرون في هذا المقام - البيع، فهو يبيع نفسه كلها لله **جَلَّ وَعَلَا**، ويُسلمها كلها، لا يستبقي منها بقية، فكل حياته لله **جَلَّ وَعَلَا**؛ في كل لحظة، وكل سكونة، وفي كل حين، وفي كل تصرف، ولا يرجو من وراء هذا البيع لله **جَلَّ وَعَلَا** غايةً إلا مرضاة الله سبحانه، ليس له فيها شيء، وليس له من ورائها شيء، بيعة كاملة لا تردُّ فيها، ولا تلفت لتحصيل ثمنٍ من أثمان الدنيا، ولا استبقاء بقية لغير الله **جَلَّ وَعَلَا**، وإنما يبيع نفسه كلها لله سبحانه.





الحديث عن الإحتساب

لماذا الحديث عن الإحتساب؟

قد تزهد في العمل الصالح أحياناً...!

بمعنى أنك لا تجد حماسة له، ولربما كان السبب في ذلك أنك لا تعلم أهمية هذا العمل ولا الثواب المترتب عليه، أو أنك تجهل أن بعض الأعمال البسيطة قد تبلغ بك المنازل العالية فتستهين بها...!

وفي الغالب يُفسر ذلك كله بعدم وجود الإحتساب في حياتك...

فلربما لا تدري ما هو الإحتساب؟ ولا ماذا نحتسب؟.

إن الأيام لتذهب سريعاً فلا تفاجأ بخلو صحيفتك من الأعمال التي تبتغي بها وجه الله... أشعرت بأن هناك من يزهد جدا في العمل الصالح، بل ربما يعتبر بعض الأعمال الصالحة ضعفا ومهانة! كالعفو والحلم مثلاً...! لأجل ذلك كله كان الحديث عن احتساب الأجر أمراً نحتاج إليه...



❖ ما الأمور التي تدفعك للحرص على احتساب الأجر في أعمالك كلها؟

(١) سرعة مرور الوقت وهذا يعاني منه الجميع فاستغل الدقائق قبل الساعات وقد قيل: (أمسك الذي مضى عن قرب، يعجز أهل الأرض عن رده).

(٢) موت الفجأة قال تعالى: ﴿قُلْ إِنَّ الْمَوْتَ الَّذِي تَفِرُّونَ مِنْهُ فَإِنَّهُ مُلَاقِيكُمْ ثُمَّ تُرَدُّونَ إِلَىٰ عِلْمِ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ فَيُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٨﴾ [الجمعة: ٨].

(٣) تغير الأحوال من صحة إلى مرض ... ومن غنى إلى فقر... ومن أمن إلى خوف... ومن فراغ إلى شغل... ومن شباب إلى شيخوخة... ومن حياة إلى موت...!

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «بَادِرُوا بِالْأَعْمَالِ فِتْنًا كَقَطْعِ اللَّيْلِ الْمُظْلِمِ، يُصْبِحُ الرَّجُلُ مُؤْمِنًا وَيُمْسِي كَافِرًا، وَيُمْسِي مُؤْمِنًا وَيُصْبِحُ كَافِرًا، يَبِيعُ أَحَدُهُمْ دِينَهُ بِعَرَضٍ مِنَ الدُّنْيَا». (قال أبو عيسى: هذا حديث حسن صحيح).

(٤) لأنك محتاج إلى أعمال كثيرة تثقل بها ميزانك، فالإنسان سرعان ما يفسد أعماله الصالحة بلسانه من كذب وغيبة ونميمة



وسخرية... وهل يكب الناس في النار على وجوههم إلا حصائد ألسنتهم، فقد تأتي يوم القيامة بحسنات أمثال الجبال فتجد لسانك قد هدمها عليك... فلا تكون ممن لهم النصيب الأكبر من ويلات اللسان... فما أحوجنا إلى حسنة واحدة يثقل بها الميزان...

٥ (استشعار التقصير والتفريط في جنب الله ﴿ أَنْ تَقُولَ نَفْسٌ

بَحَسْرَتِي عَلَى مَا فَرَطْتُ فِي جَنْبِ اللَّهِ وَإِنْ كُنْتُ لِمَنِ السَّخِرِينَ ﴿٥٦﴾

[الزمر: ٥٦].

٦ (الخوف من الله ﴿ وَأَنْذِرْ بِهِ الَّذِينَ يَخَافُونَ أَنْ يُحْشَرُوا إِلَى

رَبِّهِمْ لَيْسَ لَهُمْ مِنْ دُونِهِ وَلِيٌّ وَلَا شَفِيعٌ لَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ ﴿٥١﴾ [الأنعام: ٥١].

إن الخوف من الله دافع قوي للعمل الصالح عموماً.

٧ (الرغبة في حصول الأجر والثواب، قال الله تعالى: ﴿ وَالَّذِينَ

ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَنُبَوِّئَنَّهُمْ مِنَ الْجَنَّةِ غُرَفًا تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا

الأنهارُ خَالِدِينَ فِيهَا نِعَمَ أَجْرُ الْعَامِلِينَ ﴿٥٨﴾ [العنكبوت: ٥٨].

٨ (أن فرصة العيش في الحياة الدنيا واحدة لا تتكرر لتعويض

ما فات ... ﴿ أَوْ تَقُولَ حِينَ تَرَى الْعَذَابَ لَوْ أَنِّي لِي كَرَّةٌ فَأَكُونُ

مِنَ الْمُحْسِنِينَ ﴿٥٨﴾ [الزمر: ٥٨].



ومع أنها فرصة واحدة إلا أنها تنقضي بسرعة أيضا...!،
فعندما تجلس عند جدك وتقول له: احك لي قصة حياتك خلال
الستين سنة الماضية فسيحكها لك في ساعة أو ساعتين!... أين
ذهبت تلك السنون الطوال؟!...

لا شك أن الحديث عنها سينتهي في يومين على أكثر تقدير...!

قال الله تعالى: ﴿وَيَوْمَ يُحْشَرُهُمْ كَأَن لَّمْ يَلْبَثُوا إِلَّا سَاعَةً مِّنَ النَّهَارِ
يَتَعَارَفُونَ بَيْنَهُمْ...﴾ [يونس: ٤٥]. «أي اذكر يوم نحشرهم ﴿كَأَن لَّمْ
يَلْبَثُوا﴾ في الدنيا ﴿إِلَّا سَاعَةً مِّنَ النَّهَارِ﴾ أي شيئا قليلا منه، استقلوا
المدة الطويلة إما لأنهم ضيعوا أعمارهم في الدنيا فجعلوا وجودها
كالعدم، وإما استقصروها للدهش والحيرة، وإما لطول وقوفهم
في المحشر، وإما لشدة ما هم فيه من العذاب نسوا لذات الدنيا
وكانها لم تكن.

وجملة ﴿يَتَعَارَفُونَ بَيْنَهُمْ﴾ أي يعرف بعضهم بعضا، وذلك عند
خروجهم من القبور، ثم تنقطع التعارف بينهم لما بين أيديهم من
الأمر المدهشة للعقول المذهلة للأفهام، وقيل إن هذا التعارف
هو تعارف التوبيخ والتقريع، يقول بعضهم لبعض: أنت أضللتني
وأغويتني لا تعارف شفقة ورأفة...»^(١).



﴿ فوائد الإحتساب ﴾

هل تعلم أنك عندما تحاول احتساب الأجر في جميع أعمالك، قد حصلت لك فوائد عظيمة لا تتوفر عند من لا يهتم بالإحتساب؟!...

- ١ (دليل كمال الإيمان وحسن الإسلام.
- ٢ (الفوز بالجنة والنجاة من النار.
- ٣ (حصول السعادة في الدارين.
- ٤ (الإحتساب في الطاعات يجعلها خالصة لوجه الله تعالى وليس لها جزاء إلا الجنة.
- ٥ (الإحتساب في المكاره يضاعف أجر الصبر عليها.
- ٦ (الإحتساب يبعد صاحبه عن شبهة الرياء ويزيد في ثقته بربه.
- ٧ (الإحتساب في المكاره يدفع الحزن ويجلب السرور ويحول ما يظنه الإنسان نقمة إلى نعمة.



٨ (الإحتساب في الطاعات يجعل صاحبه قرير العين مسرور
الفؤاد بما يدخره عند ربه فيتضاعف رصيده الإيماني وتقوى
روحه المعنوية.

٩ (الإحتساب دليل الرضا بقضاء الله وقدره ودليل على
حسن الظن بالله تعالى.

١٠ (علامة على صلاح العبد واستقامته.

١١ (إتباع للرسول الكريم صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

١٢ (أراك دائما تحرص أن تكون محبوباً من الناس .. وهذا
شيء طيب ولكن .. ليكن طموحك أعلى .. فحب أهل الأرض
وحده لا يكفي! .. كما أنه غاية صعبة المنال إلا إذا أحبك أهل
السماء!! .. تقول: كيف؟.

أقول لك: عليك بالإحتساب فهو عمل صالح .. والمداومة
عليه تجعل حياتك كلها طاعات .. والطاعة طريق موصل إلى
محبة الله .. وإذا أحبك الله، أحبك أهل السماء ووضع لك القبول
في الأرض.



روى مسلم في صحيحه عن أبي هريرة **رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ** عن النبي **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ** أنه قال: «إن الله إذا أحب عبداً دعا جبريل فقال إني أحب فلانا فأحبه، قال فيحبه جبريل، ثم ينادي في السماء فيقول: إن الله يحب فلانا فأحبوه، فيحبه أهل السماء، قال: ثم يوضع له القبول في الأرض، وإذا أبغض عبداً دعا جبريل، فيقول: إني أبغض فلانا فأبغضه، فيبغضه جبريل، ثم ينادي في أهل السماء: إن الله يبغض فلانا فأبغضوه، قال فيبغضونه، ثم توضع له البغضاء في الأرض»^(١).

١٣) بالإحسان تؤدي شكر النعم، لأن الإحسان طاعة،
ومن شكر النعم العمل بالطاعات.

والله يجازيك على شكرك للنعم بأن يزيدك من الطاعات،
فيعينك عليها ويسرها لك، ويحببها إلى قلبك فتجد الأيسر
والممتعة في عملها، فيسهل عليك أمر الإحسان وغيره ...

فقد قال الحسين رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ في قوله تعالى: ﴿لِيَن شَكَرْتُمْ
لَأَزِيدَنَّكُمْ﴾ قال: «أي من طاعتي»^(٢).

(١) صحيح مسلم: (٤/٢٠٣٠) رقم (٢٦٣٧)

(٢) الدار المنشور للسيوطي (٧/٥)



(١٤) إن الذي يحتسب الأجر من الله في أعماله لا يتأذى ولا يتأثر من عدم شكر الناس لجهوده الطيبة معهم وعدم تقديرهم لما يقوم به من أجلهم، لأنه لا يرجو من الناس جزاء ولا شكورا إنما يبتغي بذلك وجه الله فهو هادئ البال مطمئن النفس حتى وإن قوبل إحسانه بالإساءة فما دام أن مبتغاه قد تحقق فلا يضيره ما وراء ذلك لأن لا مطلب له فيه أصلا.

(١٥) الإحسان في التروك - ترك المعاصي والمحرمات -

طاعة تثبت قلبك وتقوي عزيمة لأن ترك المعصية - مع قدرتك عليها - لوجه الله يجعلك تتلذذ وتسعد بتركها لأنك ترجو أجر امتثالك لأمر الله ووقوفك عند حدوده تبتغي بذلك ثواب التقوى والخوف من الله ﴿وَلَمَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ جَنَّاتٍ﴾ [الرحمن: ٤٦]، «والذي خاف ربه وقيامه عليه فترك ما نهى عنه، وفعل ما أمر به، له جنتان من ذهب، أنيتهما وحليتهما وبنيانهما وما فيهما، إحدى الجنتين جزاء على ترك المنهيات والأخرى على فعل الطاعات»^(١).



١٦) إن المحيط الصغير الذي تعيش فيه سيكتسب منك هذا الخلق الحسن - الإحتساب - لأنهم سيشعرون به ويعايشونه واقع حيا أمامهم مما يجعل له أثرا عميقا في أنفسهم، وأقصد هنا أهلك وزوجتك وأولادك وغيرهم ممن تحتك بهم احتكاكا مباشرا ومستمرا كمحيط العمل مثلا... فتكون بذلك دعوت عمليا إلى هدى، فلك أجره وأجر من عمل به إلى يوم القيامة بإذن الله...

١٧) من فوائد الإحتساب التي تجنيها في الدنيا مع ما يدخر لك من الثواب في الآخرة، أنك إذا جعلت همك رضا الله والتقرب إليه باحتساب العبادات المختلفة فإن الجزاء من جنس العمل، قال رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «... ومن كانت الدنيا همه فرق الله عليه أمره، وجعل فقره بين عينيه، ولم يأت من الدنيا إلا ما كتب له، ومن كانت الآخرة نيته جمع الله له أمره، وجعل الله غناه في قلبه، وأتته الدنيا وهي راغمة»^(١).

(١) جزء من حديث رواه الإمام أحمد ٥/١٨٣، صححه الشيخ الألباني في صحيح الترغيب.



وما ظنك بمن يحتسب الأجر من الله في كل شيء أليست ممن كانت الآخرة نيته؟... وإن لم يكن هو فمن؟! إنه قلب عاش وتنفس يستشعر العبادة في جميع سكناته وحركاته يطلب ثوابها من الله فسره وشرحه من خلقه ويسر له أمر دنياه وأخراه.. فاجعل الآخرة همك.. تصبح وتمسي تفكر: كيف أرضي ربي؟ ماذا سأفعل اليوم؟...

١٨ (الإحساب يزيدك رفعة عند خالقك، فقد قال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لسعد بن أبي وقاص «... إنك لن تخلف فتعمل عملا تبغي به وجه الله إلا ازددت به درجة ورفعة...»^(١).

١٩) عندما تعتاد المداومة على احتساب العمل الصالح فستريح مثل أجور أعمالك عندما لا يمكنك القيام بها لعذر شرعي... لا تتعجب!... فإن فضل الله واسع... قال صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «إذا مرض العبد أو سافر كتب له ما كان يعمل صحيحا مقيما»^(٢).



(١) جزء من حديث رواه الإمام البخاري (فتح الباري ١/ ١٣٦، حديث ٥٦)

(٢) رواه البخاري، فتح الباري ٦/ ١٣٦، رقم (٢٩٩٦)

﴿ فضيلة الدلالة على الخير والتنبيه عليه ﴾

والمساعدة لفاعله

فيا من تصدر لدعوة الأنام للعمل والتمسك بدين الإسلام، اعلم - ثبتك العلام - أن من أهم ما يُقوي همتك ويشد من عزيمتك بعد توفيق الباري **جَلَّ وَعَلَا** لك أن تحتسب هذا العمل الكريم الذي فيه خير كثير و أجر عظيم عند العزيز الرحيم، فعن أبي هريرة **رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ** أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «**مَنْ دَعَا إِلَى هُدًى كَانَ لَهُ مِنَ الْأَجْرِ مِثْلُ أُجُورِ مَنْ تَبِعَهُ لَا يَنْقُصُ ذَلِكَ مِنْ أُجُورِهِمْ شَيْئًا، وَمَنْ دَعَا إِلَى ضَلَالَةٍ كَانَ عَلَيْهِ مِنَ الْإِثْمِ مِثْلُ آثَامِ مَنْ تَبِعَهُ لَا يَنْقُصُ ذَلِكَ مِنْ آثَامِهِمْ شَيْئًا**»^(١).

يقول الإمام ابن القيم **رَحِمَهُ اللَّهُ**: «أخبر أن المتسبب إلى الهدى بدعوته له مثل اجر من اهتدى به، والمتسبب إلى الضلالة بدعوته عليه مثل إثم من ضل به ، لأن هذا بذل قدرته في هداية الناس، وهذا بذل قدرته في ضلالتهم، فنزل كل واحد منهما بمنزلة

الفاعل التام»^(١).

ويقول الشيخ السعدي رَحِمَهُ اللهُ: «هذا الحديث - وما أشبهه من الأحاديث - فيه: الحث على الدعوة إلى الهدى والخير وفضل الداعي، والتحذير من الدعاء إلى الضلالة والغي، وعِظَم جرم الداعي وعقوبته.

والهدى: هو العلم النافع، والعمل الصالح فكل من علم علماً، أو وجه المتعلمين إلى سلوك طريقة يحصل لهم فيها علم: فهو داعٍ إلى الهدى.

وكل من دعا إلى عمل صالح يتعلق بحق الله أو بحقوق الخلق العامة والخاصة: فهو داعٍ إلى الهدى، وكل من أبدى نصيحة دينية أو دنيوية يتوسل بها إلى الدين: فهو داعٍ إلى الهدى، وكل من اهتدى في علمه أو عمله، فاقتدى به غيره: فهو داعٍ إلى الهدى، وكل من تقدم غيره بعمل خيري، أو مشروع عام النفع: فهو داخل في هذا النص.

وعكس ذلك كله: الداعي إلى الضلالة، فالداعون إلى الهدى:



هم أئمة المتقين، وخيار المؤمنين والداعون إلى الضلالة: هم الأئمة الذين يدعون إلى النار، وكل من عاون غيره على البر والتقوى: فهو من الداعين إلى الهدى. وكل من أعان غيره على الإثم والعدوان: فهو من الداعين إلى الضلالة»^(١).

وتذكر أنك إذا احتسبت إرشادك للناس إلى فعل الخيرات والحث على ملازمة الطاعات والتقرب إلى رب البريات فإن لك نفس أجر من عمل بذلك بإذن رب الأرض والسماوات، فعن أبي مسعود البدري **رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ** قال، قال رسول الله **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ**: «**مَنْ دَلَّ عَلَى خَيْرٍ فَلَهُ مِثْلُ أَجْرِ فَاعِلِهِ**»^(٢).

يقول الإمام النووي **رَحِمَهُ اللَّهُ**: «فيه فضيلة الدلالة على الخير والتنبية عليه والمساعدة لفاعله، وفيه فضيلة تعليم العلم ووظائف العبادات لاسيما لمن يعمل بها من المتعبدين وغيرهم والمراد بمثل أجر فاعله أن له ثوابا بذلك الفعل كما أن لفاعله ثوابا ولا يلزم أن يكون قدر ثوابهما سواء»^(٣).

(١) بهجة قلوب الأبرار (ص ٦٢).

(٢) رواه مسلم (١٨٩٣)

(٣) الشرح على صحيح مسلم (١٣ / ٣٩)



قال رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : « إِذَا مَاتَ الْإِنْسَانُ انْقَطَعَ عَنْهُ عَمَلُهُ إِلَّا مِنْ ثَلَاثَةٍ، إِلَّا مِنْ صَدَقَةٍ جَارِيَةٍ، أَوْ عِلْمٍ يُنْتَفَعُ بِهِ، أَوْ وَلَدٍ صَالِحٍ يَدْعُو لَهُ »^(١).

يقول الإمام النووي رَحِمَهُ اللهُ: «قال العلماء: معنى الحديث أن عمل الميت ينقطع بموته، وينقطع تجدد الثواب له إلا في هذه الأشياء الثلاثة لكونه كان سببها، فإن الولد من كسبه، وكذلك العلم الذي خلفه من تعليم أو تصنيف، وكذلك الصدقة الجارية وهي الوقف، وفيه فضيلة الزواج لرجاء ولد صالح»^(٢).



(١) رواه مسلم (١٦٣١)

(٢) الشرح النووي على صحيح مسلم (١١ / ٨٥)



الخاتمة

ما ذكرناه لك من نية التقرب إلى الله تعالى بما تعمله من المباحات: ليس هو على وجه الوجوب والإلزام؛ فإنه لو كان واجباً لازماً: لم يكن مباحاً، وإنما كان واجباً، يأثم الإنسان بتركه.

وأما من لم يقصد شيئاً إلا تحقيق رغبته النفسية، أو قضاء شهوته، أو حاجته، أو التمتع بالمباح: فهذا لا حرج عليه فيما فعل، ما دام قد علم أن هذا الأمر مما رخص فيه الشرع وأذن فيه؛ لكن ليس له أجر بمجرد ذلك الفعل، كما أنه لا إثم عليه بمجرد فعله .

أيها الإخوة الكرام، هذه هي التجارة الرباحة، وهذه هي الصفقة النافعة التي ينبغي أن يحرص عليها المؤمن، وألا يضيع حياته في أمور الحياة الدنيا على نحو يُسخط الله **جَلَّ وَعَلَا**، ويجعله في نهاية الأمر في خسرانٍ مبين .

فالله الله أيها الأحبة الكرام على استحضار النية في جميع ما نقوم به من عبادات وحتى العادات لكي نؤجر على ذلك عند رب الأرض والسموات، فهذا الذي يُعيننا دائماً على فعل الطاعات و يشجعنا على الازدياد من الخيرات في كل الأوقات بإذن رب البريات .



فأسأل الله بأسمائه الحسنى وصفاته العلى أن يُوفقنا وإياكم لكل ما فيه خير وصواب، وأن يجعلنا دائماً من أهل الإحتساب، وأن ييسر لنا تحقيق ما يُحبه ويرضاه، ويُجنبنا جميعاً ما يُبغضه ويأباه، فهو سبحانه على كل شيء قدير وبالإجابة جدير، أسأل الله **سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى** أن يصلح نيتي ونواياكم، وان يحفظني وإياكم من الرياء والسمعة، وان يجعلني وإياكم ممن يخلصون العمل واسأله سبحانه أن لا يجعل للشيطان علينا مدخلا، وان يعيننا على ذكره وشكره وحسن عبادته .





الصفحة

الموضوع

- ٥٨ الحديث عن الإحسان ■
- ٦٢ فوائد الإحسان ■
- ٦٨ فضيلة الدلالة على الخير والتنبيه عليه والمساعدة لفاعله ■
- ٧٢ الخاتمة ■
- ٧٤ الفهرس ■



التصميم الداخلي للكتاب

للتواصل: @abuhanyan

Tharwat Sultan

القاهرة - جمهورية مصر العربية 00201019530152

TharwatSultan@yahoo.com